متوالية فكانت النتيجة واحدة وعليه فاد نهر الكلب الوارد الى بيروت من افضل مياه الشرب . هذا ويا حبذا لو سمحت لي الفرصة ان اتحن مياه كل مدن سورية او لو كانت الحكومة تفعل ذلك ليُعرَف صحيح هذه المياه من فاسدها لان الماء من اركان الحياة

اديان الاوائل

ديانة المصريين القدماء

الدين من لوازم نوع الانسان فلا امّة ولا قبيلة من كل امم الارض وقبائلها الّا ولها دين من الاديان كما تبيّن بالبحث والاستقراء . ولكنّ الشّرك بالله اي الاعتقاد بآلهة كثيرة كان في كل زمان اتمّ من التوحيد . والظاهر ممّا رواهُ المؤرخون عن المصريين القدماء ومما بقي من آثارهم ان ديانتهم الظاهرة كانت ديانة الشرك اي انهم كانوا يعبدون آلهة كثيرة . فقد ذكر ولكنصن الباحث الانكليزي في المجلد الرابع والخامس من كتابه في "اخلاق المصريين القدماء وعوائدهم" ثلاثة وسبعين الهًا والهةً وقال انهُ لم يستوفِ ذكر الجميع . وورد في كتابة مصرية لرعمسيس الثاني العبارة الآتية وهي "الالهة الالف — الالهة والالهات الذين في ارض مصر[1]" وهي تقطع بكثرة آلهة المصريين وتجاوزهم المئين . ولم تكن هذه الآلهة تعبد في كل بلاد مصر على حدٍّ سوًى ولا كانت في مرتبة واحدة فان هيرودوتس قسمها الى ثلاث رتب وجعل ثمانية منها في الرتبة الاولى واثني عشر في الثانية والبقية في الثالثة . الّا ان الآلهة العظمى كانت تُعبَد في كل البلاد او في اكثرها ومن هذه الآلهة امون وخام ونف وافتاح ورا واوسيرس ونيث

فكان امون الاله الاعظم في ثيبس ويقال ان معنى اسمهِ الاله الخفي وكانوا يعتقدون انهُ بعيد عن الناس لا يُرَى ولا يُدرَك . وكثيرًا ما اشركوهُ بالاله را (الشمس) واعتقدوا انهُ مصدر النور والحياة ورب الوجود وسند كل الاشياء

وخام الاله الاعظم في خميس وكانوا يعتقدون انهُ المبدأ المحيي وقوة الحياة والنمو في الطبيعة والمتسلط على النبات والمسبب للخصب والحامي للزراعة ورب الحصاد وان نوع الانسان وبقية جنس الحيوان تحت تسلطهِ ويسمونهُ ملك الآلهة ورافع اليد ورب التاج والقدير

ونف الاله الاعظم في اليفنتين وكانوا يعتقدون انهُ الروح الالهي والاله الذي صنع الشمس

(١) كتاب اخبار الماضي المجلد ٤ الوجه ٢١

والقمر ليدوران تحت السماء وفوق الارض وصنع العالم وكل ما فيه[٢]. ويختصونه احياناً بخواري قائم امام دولابه ويكتبون بجانبه انه صنع الآلهة والناس

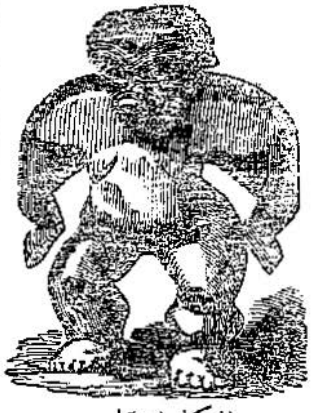

الشكل الاوّل

وافتاح الاله الاعظم في ممفيس وكانوا يعتقدون انه الصانع الحقيقي للشمس والقمر والارض ويقولون انه ابو البدءات واوّل آلهة العالم العلوي الذي حكّم العالم بيديه رب الجمال ورب الحق . وله عندهم ثلاث صور مختلفة الاولى صورة رجل ماشٍ او جالس والثانية صورة شخص محنط والثالثة صورة قزم ذميم تشبه الشكل الاوّل وهي الصورة التي هزأ بها كمبيس الفارسي لمّا تغلّب على مصر ودخل هيكل افتاح العظيم بممفيس على ما رواهُ هيرودوتس

ورا الاله الاعظم في هليوبوليس وهو اله الشمس. وعند البعض ان المسلّات المصرية نُصِبَت لهذا الاله رمزًا الى اشعته. وكان فراعنة مصر يتخذونهُ حامياً لهم ويلتّبون انفسهم بالقابه ويصدرون اسماءهم باسمهِ حتى قال البعض[٣] ان كلمة فرعون مأخوذة من كلمة را والارجح انها من فعورو اي الملك

واوسيرس الاله الاعظم في ابيدوس وكانوا يعتقدون انهُ نور العالم السفلي والشمس من حين غروبها الى حين شروقها وملك الطاوية وقاضيها ومصدر الخير المملوء من الجودة والحق والروح الكريم الكريم في المشيئة والاقوال الحنّان الجميل المحبوب من كل الذين يرونهُ[٤]

وكانت نيث الالهة العظمى في سايس وزعم اليونانيون انها هي منرفا الهة الحكمة عندهم اما المصريون فاعتقدوا انها سيدة السماء وصوّروها بصورة امرأة جالسة وعلى رأسها تاج مصر السفلى ويسراها صولجان ويمناها الصليب ذو الحلقة وهو علامة الحياة

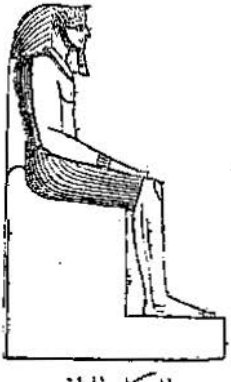

الشكل الثاني

وكان عندهم الهة للذوق واللمس والصمت والكتابة والطب والزراعة والحصاد وبالاجمال يقال انهم الهوا كل حادثة من حوادث الطبيعة وكل عمل من اعمال الانسان[٥]. وكانوا يصنعون لهذه الآلهة تماثيل كثيرة بين كبيرة يبلغ ارتفاعها ستين او سبعين قدماً كالصورة المرسومة في الشكل الثاني وصغيرة تقل عن الملة الاصبع

(٢) كتاب بتصن المجلد الاول الوجه ٢٧٧ (٣) هيرودوتس المجلد الثاني الوجه ١٥٥ والحاشية الاولى (٤) اخبار الماضي وولكنصن (٥) انظر رولنصن وغيره

ويجعلون لبعضها راس انسان ولبعضها راس اسد كما في الشكل الثالث او راس باشق كما في الشكل الرابع[٦] او غيرها من الوحش والطير . وكان عندهم آلهة للشرّ يصوّرونها بصور قبيحة ويبنون لها الهياكل ويعبدونها اتقاء شرها

الشكل الثالث

الى هنا اطلقنا الكلام على آلهة المصريين الخيالية التي صوّرها لهم الوهم فرسموها على الحجارة والمعادن والآن نلتفت قليلاً الى آلهتهم الحسية التي تجعل كلّ مطّلع على آثارهم يقف وقفة المتذهل ممّا اجتمع فيهم من سمو العقل وسخافته فانهم كانوا يعبدون العجول والكراكي والقطاط والبواشق والكباش والكلاب والاسود والتماسيح والذئاب والبرابيح والضفادع والاماعز والعقبان والنموس والسمك ونحو ذلك ممّا يطول شرحهُ . وبعض هذه الحيوانات كانت عبادته شائعة في كل البلاد وبعضها خاصّة ببلد دون آخر مما جعل التعدي عليها في حرمها سببًا للحروب والخصومات . والظاهر انهم احترموها في اوّل الامر لملابسة بينها وبين آلهتهم ثم اشتدّ حرصهم على احترامها حتى صاروا يعتقدون ان الآلهة تتجسّد فيها فصاروا يعبدونها عبادة محضة : من ذلك ثيران ابيس التي كانت تُعبَد في ممفيس في هيكل آفتاح زعمًا ان الاله آفتاح او الاله اوسيرس[٧] تجسّد فيها وثيران آمنيس التي كانت تعبد في هليوبوليس زعمًا ان الاله را او تم تجسّد فيها . وكانت هذه الحيوانات ولا سيما الثيران المذكورة تعبد في افخر هياكل البلاد وتخدم كما يخدم الملوك وتحنط عند موتها وتدفن في مدافن عظيمة ويبكيها كل اهل مصر

الشكل الرابع

وقد افرط المصريون القدماء في التديّن والانفاق على الهياكل الباذخة والاحتفالات الدينية . وهياكلهم من الطراز الاوّل بين هياكل الدنيا في فخامتها ورحابتها ودقّة نقشها وحسن زخرفها . وكان كهنتهم يحلقون رؤوسهم ويلبسون البوص الابيض ويقيمون الفرائض الدينية وهم يرتّلون ويعزفون

(٦) الشكل الثاني صورة تمثال من التماثيل التي امام قصر امونوف الثالث علوهُ ستون قدمًا والشكل الثالث صورة الالهة بشت حبيبة افتاح والشكل الرابع صورة الله الحرب والاله منذو بن را

(٧) انظر كتاب برتش في "مصر في الازمنة الاولى" الوجه ١٢ من المقدمة وهيرودوتس لولكنصن المجلد ٢ الوجه ٣٥٤ والحاشية الثانية

ومن اوّل اركان ديانتهم الاعتقاد بخلود النفس وبيان ذلك سيأتي معتقدهم ان النفس تنزل حال مفارقتها للجسد الى العالم السفلي وتدخل دار الحق وتُحاكم في حضرة اوسيرس ومشيريه الاثنين والاربعين ارباب الحق وقضاة الاموات فيأتي انوبس بن اوسيرس بميزان يضع في كفتهِ الواحدة تمثال الحق وفي الكفة الاخرى اناء فيهِ حسنات الميت فاذا رجحت الحسنات على التمثال ابيح للنفس ان تدخل قارب الشمس وقادتها الارواح الصالحة الى الفردوس الى بُرك السلام ومساكن الابرار وان لم ترجح حكم عليها ان تنقّص في اجساد الحيوانات الدنسة . وتوقف مدة تقمُّصها وعدد الحيوانات التي تدخل فيها ونوعها على سيئات النفس فان لم تطهّر في تقمُّصها كما يجب حكم عليها بالملاشاة على سلّم السماء ولاشاها شو اله النور[٨] . اما النفس الصالحة فتطهر من سيئاتها بالنار المطهرة وتقيم مع اوسيرس ثلاثة آلاف سنة ثم تعود الى الارض وتدخل الجسد الذي خرجت منهُ فيقوم من الاموات ويعيش كما عاش اولاً ويتكرّر عليهِ الموت والبعث عدة مرّات حتى يبلغ السعادة العظمى اذ تتحد نفسهُ بالله وتعود الى الجوهر الالهي الذي صدرت منهُ وهناك كمال السعادة

واعتقادهم بالخلود هو السبب في حرصهم على اجساد موتاهم وتحنيطها ودفنها في المدافن العظيمة من الاسراب العميقة في الصخور الصمّاء الى الاهرام الباذخة اعظم مباني الناس لان كلاً منهم كان يرجى ان تعود نفسهُ الى جسدهِ بعد ان تقيم مع اوسيرس ثلاثة آلاف سنة على ما تقدّم . وكانوا يختارون شذرات من كتاب فرائض الاموات يكتبونها على لفائف الميت او ينقشونها على جدران قبرهِ الداخلية[٩] او يدفنون نسخة كاملة من ذلك الكتاب معهُ مخافة ان تخونهُ ذاكرتهُ فينسى الصلوات التي يجب ان يتلوها في عالم الاموات . وكان امر الخلود وتوقف السعادة الابدية على حسن السيرة واضحين كل الوضوح حتى لعامّة الشعب[١٠]

يظهر مما تقدّم ان المصريين القدماء كانوا يشركون بالله وهو الظاهر مما جاء عنهم في كتب الاخبار ومما يستدل بهِ على معتقداتهم من الآثار وذلك وان صدق على عامتهم لا يصدق على خاصتهم وحكمائهم لان هؤلاء الحكماء كانوا موحّدين يعتقدون بالاله الواحد "الخالق الوحيد لكل ما في السماء وما على الارض الذي لم يخلقهُ احد الاله الحقيقي وحدهُ الواجب الوجود لنفسهِ الكائن منذ الازل الروح الطاهر الكامل في كل اوصافهِ الكلي الحكمة والقدرة والقداسة[١١] ثم

(٨) انظر كتاب برتش "دليل المتحف" الوجه ١٤ و١٥

(٩) كتاب "موقع مصر" لبنصن المجلد الخامس الوجه ١٢٧ الى ١٢٩

(١٠) "مصر في الازمنة القديمة" برتش الوجه ٤٦

(١١) قد بين ذلك لنورمن وولكنصن ورولنصن وغيرهم . والالقاب المتقدمة مأخوذة من كتابات المصريين القدماء وكذا كل الالقاب والمعتقدات المتقدمة والتالية

وهذا الاله لم يصنعوا له رسماً ولم يكن له اسم عندهم او بالحري لم يكونوا ينوهون باسمه اذ كان له اسمٌ عندهم . وكانوا يعتقدون ان كل ما سواهُ من الآلهة ليس الّا صفة له او قسماً من الطبيعة التي خلقها. فالاله نفس رمز العقل الخالق وآفتاح لليد الخالقة وموت المادّة ورا للشمس وخوس للقمر وسب للارض وشوس لحكمة الالهية واوسيريس للجودة الالهية . وكل ما في دياناتهم من الابهام والتعقيد مقصور على اختصاص آلهتهم بهذه الصفة دون تلك او بهذا الشيء دون ذاك. وكانوا يعرفون حق المعرفة ان العبادة التي يقدمونها لهذه الآلهة تقدم لله لانها قدّمت الى صفاته او ملابساته . ولما لم يكن يحل لهم ان يتلفظوا باسم الله كانوا يقدمون صلواتهم وتراتيلهم وتسابيحهم باسم تلك الآلهة فتبلغ اليه ولذلك جوّزوا ان يسمى الاله الواحد من هذه الآلهة باسم الاله الآخر منها لان مرجعها جميعها الى الاله الاوّل (ستاتي البنية)

فساد فلسفة الماديين (١)

ايها السادة الكرام

اني عالمٌ بان غرضنا من الاجتماع في هذا المكان غير انتقاد الآراء الفلسفية وتمحيص الاقوال العلمية ولا قصد لي في تغيير ذلك الغرض ولا رغبة في فتح باب جديد من ابواب البحث اذ غرض اجتماعنا مطابق لمقتضى الحال . ولكني لما رأيت ان فلسفة الماديين قد امتدّت اعراقها حتى بلغت هذه الاطراف فصار البعض لا يعلّلون الحوادث الّا بها ولا يبصرون الحقائق الّا بنورها قلت ان الصمت عن كشف حالها تحيٌّ واطلاق العنان للقائلين بها اهمال للواجب وخذل للحق فجئتُ بهذه المقالة راجيًا ان تكون مفيدة لمن يهمُّه مضمونها والله خير مرتجى

اريد بفلسفة الماديين قول طائفة من العلماء بان افعال النفس هي افعال المادّة وبعبارة اخرى ان الحس والفكر والارادة هي افعال الدماغ والنفس والدماغ اسمان ليس لهما الّا مسمًّى واحد وهو الجسم العصبي العظيم الشاغل للجمجمة واما الجوهر المجرّد فغير موجود . واصحاب هذه الفلسفة كثيرون وفيهم جملة من كبار العلماء الذين يعتمد على قولهم في العلم ويركن الى معرفتهم في كثير من الحقائق، على ان ذلك لا يقتضي ان نوافقهم على كل ما يقولون او نذهب الى كل ما يذهبون اليه فربّ عالم يجري في مقدمة العلماء من وجهٍ وفي مؤخرتهم من آخر كما ان صانعًا يجوز قصب السبق في حرفةٍ وينشل في غيرها تمام النشل . ولذلك فالعاقل يزن الاقوال قبل الحكم

(١) خطبة خطبها احدنا فارس نمر في جمعية شمس البر في شباط ١٨٨٣